

# فكاهات

الفجاءة<sup>(١)</sup>

استيقظتُ يوماً سحرًا فخرجت من منزلي وكان النسيم عليلًا منعشًا فما زلت سائرًا الى ان اوصلتني خطواتي الى امام باب حديقة الازبكية فدخلتها وسرت توجًا الى محلّ يظلهُ النبات الغض بالقرب من البحيرة التي فيها فاتكأت على العشب وجعلت اتأمل في محاسن الطبيعة وترتيب يد الانسان . وكانت العصافير في رؤوس الاشجار تترنم وتغرد كأنها تسبح الخالق على ذلك اليوم البهيج قبل خروجها الى عملها اليومي . وبعد ان سرحت افكاري في مواضع شتى خطر لي ان اكتب روايةً وكان سكون المحل وبهجته يجيبان مثل هذا العمل فأخذت قلبي وورقًا كنت احفظه في جيبني ثم اشعلتُ لفافةً وبدأت في الكتابة . ولكنني لم أكد اخط كلمةً واحدة حتى شردت افكاري فتوزعت في انحاء عديدة فأرسلت وراءها رائد الذاكرة ليجمعها فلم تزد الا تشتتًا ونفورًا وبقيت نحو نصف ساعة اجاهد في ذلك فلم اصادف اليه سبيلًا واخيرًا ارجعت اوراقي وقلبي الى مخبئها في جيبني . واذا بصوت قرع اذني في ذلك السكون على غير انتظارٍ مني فأصنحت بسمعي وعلمت ان المتكلم فتاة في اوائل العمر وهي تقول بلهجة الحنو باللغة الانكليزية الفصحى ولماذا اراك دائمًا تبكين اذا ... فأجابها صوتٌ آخر بنفس الرقة والعدوبة أبكي يا بنيتي على حظي الاسود واسألهُ تعالى ان لا يجعل نصيبك كنصبي . ثم تبع ذلك تنهدٌ من قلب جريج وكلماتٌ متقطعة من صاحبة الصوت الاول لم اتمكن من سماعها تمامًا . ودفعني الاستغراب الى مشاهدة صاحبتني الحديث فنهضت من موضعي واشرفت من بين الاغصان الملتفة فرأيتُ ابنةً لا تتجاوز الرابعة من العمر تقودها بيدها سيدة مرتدية

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

## الضيآء

(٥٠٧)

بجيرة سودآء وقد رفعت عن وجهها برقعا من الحرير الناعم الرفيع فأزاحتها الى أعلى رأسها لتتمكن من رأى ما حولها . وتبعتهما بنظري الى ان بلغنا مقعدا حجريا على حافة تلك البجيرة الصغيرة فجلستا تأملان طيورًا من الاوز كانت تستحم في المياه . فرأيت في هيئة المرأة ما ظهر لي منه أنها من الحرير التركي المصري ولكن ما سمعته من كلامها حقق لي انها انكليزية الاصل وأنها تربت في انكلترا لانه لا يمكن ان تكون تناولت هذه اللغة بالتعليم وادركت هذه الغاية من حسن النطق بها . فزادت بي الحيرة وحلني حب الاستطلاع على ان سرت من مكاني متوجها الى الباب الآخر فمرت بالقرب منهما وبوددي ان استطع مشاهدة السيدة عن قرب . ولما كدت ابلغ مكانهما سمعت الام تقول اواه فانه لو كان لي على الاقل من اشكوله همي وانتفع بمشورته لهان عليّ تحمل هذا العذاب . وما سمعت هذه الشكوى حتى شعرت ان الدم قد صعد الى وجهي وخفق قلبي فلم اتمالك ان اقتربت من السيدة وقلت لها بلغتها الانكليزية اظن ان السيدة ان سمحت لي ان اكلمها ليست من بنات مصر . وظهر لي انها دهشت من تجاسري على محادثتها ولكنها القت عليّ نظرة من عيني جوذر ينبعث منها نور يسحر القلوب وقالت لابل انا انكليزية . قلت كنت تاكدت ذلك لولم يمؤه الحقيقة عليّ هذا اللباس الذي انت مرتدية به . وقد سمعت على غير قصد مني عبارتين منك علمت انك على غير ما ترومين من السرور وبما اني غريب مثلك فقد اثر في ما سمعته واجترأت على مكالمتك فهل في امكاني يا ترى ان اقوم بخدمة أو اسعى في امر ما لمساعدتك . فحدقت بصرها في وجهي مدة وهي صامته ولم يقو نظري على الثبات في تلك الطلعة الملائكية فأطرقت الى الارض وبعد هنيهة قالت انك تتكلم بالانكليزية نظيري فهل انت انكليزي . قلت لا ولكني درست هذه اللغة جيدا بكافة فروعها وعاشرت بنيتها وتعلمت آدابهم واخلقهم وهذا ما دعاني الى محادثتك بعد ما سمعت شكواك . فصمت هنيهة وهي تفرس في وجهي ثم قالت يظهر لي انك صادق فيما تقول ولا يزجني ضميري عن اطلاعك على حالتي ولعل الله ساقك اليّ لتجدد في نفسي بقية الامل التي كادت تضمحل .

ولكن التمس منك ان تعرفني بنفسك اولاً وسأعرفك بنفسي لدى تلاوة حديثي .  
فذكرت لها اسمي وان محل شغلي مجتمع غرائب تجارية تقصده السيّاح ثم جلست  
بازائها على جانب البحيرة وكانت ابنتها الصغيرة تتوق نظيري الى سماع ما ستقصه  
علينا والدتها فساد سكون عميق كان يرن فيه صوت المتكلمة الرخيم فقالت

اني وُلدت في مدينة منشستر من اعمال انكلترا وابواي انكليزيان من اسرة  
غير دينية . فاصابت والدتي حمى النفاس وبعد ولادتي بايام قلائل توفاه الله فكان  
ذلك اول مصيبة حلت عليّ اذا لم احسب ان ظهوري في عالم الوجود كان مبتدأ  
المصائب . وكان والدي في سعة عيش ورخاء وله معمل كبير للمنسوجات القطنية  
يديره بمنتهى الخدافة والنشاط . وبعد عدة سنوات الف رؤساء المعامل في بلادنا  
جمعية غرضها التضييق على الصناع والاستئثار بالسلطة والتلاعب بالاسعار فلم يشأ  
والدي ان ينضم الى هذه الجمعية وكان ذلك سبباً لخرابنا . فان الجمعية المذكورة ما فتئت  
تسابقه وتضايقه حتى وقفت حاله تماماً وطرات عليه خسائر جسيمة فوقع تحت احمال  
الديون الباهظة واضطرّ اخيراً ان يبيع المعمل بثمن بخس لم يكف لي لو فاء الديون .  
ولما اصبحنا لانك شرور تقير وليس في استطاعة والدي ان يتعاطى غير العمل الذي  
نشأ عليه دخل في خدمة الرجل الذي اشترى معمله وكان كلما دخل المعمل وخرج  
منه يتخيل له كيف كان فيه السيد المطلق ثم اصبح من بعض العملة فتضيق نفسه .  
ويضغط عامل الحزن على قلبه فيذيب من قوته وصره فايض شعره وانحني ظهره  
ولم اعد أرى فمه متبسماً من ذلك الحين

وكان لصاحب المعمل الجديد ابن في مقتبل الحياة يدعى وليم رأني يوماً فولع  
بي واشتدّ هيامه وكنت قد بلغت السادسة عشرة من عمري فاتاني يوماً وشرح لي  
حبه وسألني ان اقبله بالمثل وان اعده بان اكون له زوجة . وختم حديثه بقوله  
ان انا واقفته على طلبه فانه يرفع شأن والدي ويقيمه مديراً ويزيد راتبه والا فانه  
يضايقه ويطرده من عمله ويتركنا في اسوأ حال . اما انا فلم اكن اميل الى هذا الفتى  
بل كنت اكره ان اقبله لفظاظه طباعه وسوء آدابه وعلى الخصوص لاني كنت احب

ابن عمي وهو فتى يدعى شارلس هيل ادركه اليتيم صغيرا فاخذهُ والدي ورباهُ معي  
فكنا كأن الطبيعة اوجدتنا معا ليكون احدا للآخر وكان يعمل مع ابي ايضا . فلما  
سمعت من الفتى هذه الكلمات كدت اقع مغتسياً عليّ ولم اجسر ان اصرح له  
بالرفض مخافة ان يحقّق ما قاله من ايقاع الاذية بوالدي فتساقطت دموعي بغزارة  
وبعد قليل توسلت اليه ان يهيني مدة اراجع فيها افكاري قبل ان اجاوبه امله اني  
بهذا التأجيل اكسب وقتاً اطلب فيه الى الله ان يرشدني الى طريقة التخلص بها من  
محيي هذا بدون ان يحقن علي والدي . ولم اذكر لابي ولا لابن عمي شيئاً مما جرى  
ققضيت اياماً لا اكاد اذوق قوتاً وبان تأثير هذه الانفعالات عليّ بكل وضوح . قتلقي  
والدي وشارلس وبذلا وسعهما في مداواتي بالتنزه وانواع المسرات ولم يكونا يعلمان  
ان في الصدر حرازة دامية لا يمكن شفاؤها الا بما هو اشد منها ضرراً . وبعد شهر  
من تلك المقاتلة المشؤومة جاءني وليم ثانية طالباً مني بالراح شديد ان اعطيه الجواب  
النهائي فصرنا ساعة قضيت اكثرها بكاءً ونحيباً ولم استطع ان اجيبه بكامة . فخرج  
محنماً وقال سأنتظر الى الغد فقط فان لم احصل على جوابك ترين المالك وابن عمك  
راجعين من محل شغلها مطرودين طرداً . فسقطت على مقعد في غرفتي واستخرطت  
في البكاء تم جثوت وتضرعت الى الله ان يسهل لي طريقة للخلاص من معذبي هذا  
ولو بموتي . اما وليم فانه توجه توّاً الى المعمل وقابل والدي فقال له قد سألت ابنتك  
بلانش امرأ وينبغي ان تجاوبني عليه غداً صباحاً من غير بد . فلما جاء والدي في  
العشية ورأى ما انا فيه مع اجتهادي في اخفاء الامر استدعاني اليه والح عليّ ان  
اطلعه على ما حصل بيني وبين وليم . فاضطرت ان افعل واخبرته بالواقع تماماً . فلمحت  
في وجهه سحابة كدر مرت بسرعة ثم اخذ في ملاطفتي ولامني على عدم اخباره  
بذلك من اول الامر ثم وعدني انه سينظر في طريقة لخلاصي من وليم بدون ضرر .  
وهكذا رجعت الي نفسي فنزلنا الى غرفة المائدة واكلنا مع ابن عمي عشاءً هنيئاً ولم  
نكد نفرغ حتى نهض ابي فلبس قبعته وخرج قائلاً انه ذاهب لزيارة صديق .  
وحدثني قلبي انه يضم غير ما يقول وكانت الحقيقة انه توجه الى بيت وليم فقابله

وأثبته على تهديده اياي ومخاطبته لي في شؤون كهنه بدون استشارته ثم قال له واعلم يا وليم ان بلانش لا تريدك فلا تطمع فيها . فقال وليم مبتهئ الشراسة واعلم انت ايضاً ان المعمل لم يعد في احتياج اليك فتعال غداً مع شارلس لتأخذنا ما بقي من اجرتكما ولا تعودا ترياني وجهيكما بعد ذلك . فقال ابي بل نترك لك المستحق لنا مكافأة لك على تخليصنا من مشاهدة وجهك القبيح ومعاشره آدابك الفاسدة . وكنت انا وشارلس ننتظر والدي في الحديقة فلما عاد كان تأثره شديداً حتى انه مرّ بجانبنا ولم يرنا حتى كلفناه ثم دخلنا معاً وقصّ علينا ما حصل . فشقّ علينا الامر جداً ولكن والدي كان يسلينا ويعزينا ويقول لنكن واثقين برحمة الله فانه لا يترك بنيه ولا يجرمهم حظاً حتى يقضي لهم بافضل منه . آه لقد صدق والدي وقضى الله بالحظ الافضل ولكن له لا لنا فانه بعد ذلك بمدة قصيرة افتقده بمرض كان سبب وفاته وفاضت روحه ويده ممدودتان الواحدة على رأسي والاخرى على رأس شارلس تم شهقت بلانش ومنعتها العبرة من متابعة الحديث فاخذت اسليها الى ان سكن روعها فسححت عبرتها ثم عادت الى اتمام حديثها فقالت

وشعر شارلس ابن عمي عن ساعد الجد والنشاط وكان يسعى في البحث عن عمل له فصرف اياماً بدون جدوى وسدت في وجهه ابواب الرزق من كل جهة فاضطرّ اخيراً ان ينتظم في سلك الجندي وعلم ان ذلك سيكون ضربةً اخرى فوق مصائبه ولكنه اقنعني بوجود ذلك وعلائي بالآمال انه سيمتري يوماً الى رتبة لائحة فنقترن ونعيش بسرور ينسينا المرارة الماضية . وتجلت انا ايضاً فوعده اني انتظر ذلك واساعده بصلاواتي وانني سأحافظ على حبه وذكره مما لم يكن يشك فيه قط . وفي الشهر الثالث من انتظامه في الجيش نشبت الحرب الترنسقالية المشهورة فكانت فرقته اول الفرق التي صدرت لها الاوامر بالسفر الى تلك البلاد . وكان يوم سفر شارلس اشبه بيوم وفاة والدي وكان كل منا يغالب عواطفه بالتجلد رافةً بالآخر . وبعد سفر شارلس كان لدي مبلغ قليل من المال جمعت بعضه من التوفير والبعض الآخر مما تركه لي والدي فسافرت الى ليشرپول واكتريت غرفة في بيت باجرة

## الضيآء

(٥١١)

يسيرة وكنت اعيش بمتهى الحكمة والتقتير . ومرّت عليّ سنة في تلك الحال كنت اكتب فيها شارلس ويكاتيني فيخبرني عن احواله ولا تسل عن سروري عندما بلغني منه انه رُقي الى رتبة ملازم جزآء اقدمه وبسالته . وفي منتصف السنة الثانية انقطعت عني اخبار شارلس فقلقت جدآً وكنت انتظر الجرائد بشوق شديد لعلي ارى فيها خبرآ عنه الى ان كنت ذات يوم اطالع في احداها فوجدت خبرآ عن الفرقة التي فيها شارلس انها حاربت في موقعة شديدة امام بريتوريا ومع قلة عددها وكثرة رجال العدو فازت فوزآً ميبناً ولم يقتل من رجالها الا القليلون . تم يقال في الرسالة ان ممن ابلى البلاء الحسن في هذه المعركة الملازم شارلس هيل فانه كان امام رجاله غير مبال بالاحظار يقودهم بمتهى البسالة والاقدام وينفخ فيهم روح الحمية التي لو لم يكن هو مثالها لما فازت جنودنا في تلك الموقعة . ولكنه ما كاد يفرح بنصرته هذه حتى اصابته رصاصة اطارت قطعةً من جمحمته فسقط قتيلآً وقد ابدى السردار والقواد مزيد اسفهم على خسارته

فلما قرأت ذلك شعرت اولآً كأن مجرّى كهر نآئياً أطلق على جسدي فحمد دمي وييس اعضآئي تم سقطت الجريدة من يدي ولم اتمكن من ان تحرك لرفعها ولبثت مدةً كأني شخصٌ حجري . وشعرت لأول مرة في حياتي اني اصبحت حقيقةً وحيدة في هذا العالم الواسع وكان امامي مرآة في الحائط تعكس صورتي فخلتها تسبح الموت آتياً ليأخذني الى شارلس فأطبقت اجفاني وقلت هآء نذا . وغاية ما اذكركه انني شعرت كأني اسقط الى هوة القبر تم غبت عن الوجود . . . . . ولما افقت وجدت نفسي مطروحة على الارض والكرسي مرعيّ بجانبني وقد خرج الدم من فوق صدغي الايمن وحمد على جرح اصابي في تلك السقطة . وقضيت اياماً لا اذكر شيئاً مما اجرته فيها ولولم تعتن بي صاحبة البيت الذي كنت اقيم فيه — ويا ليتالم تفعل — لكنت من زمنٍ طويل قد اصبحت جثةً هامدة

اما حياتي هناك فأصبحت في غاية المرارة والضيق ولم اعد اطيق النظر الى تلك البلاد التي يذكرني كل ما اراه فيها بأهلي الذين فقدتهم وهصائبي المتواترة عليّ .

فقضيت اياماً كفاقدة العقل الى ان مررت يوماً امام مخزن قرأت على بابهِ اسم محل كوك الشهير وتحتهُ اعلان يفيد ان الشركة المذكورة مستعدة لنقل السياح الى مصر بأجور تختلف باختلاف الدرجات. ولا ادري ما الذي دفعني الى الرغبة في المجيء الى هذا القطر غير اني رغبت في مغادرة تلك البلاد لعلمي اني اذا كنت في ارض غريبة لا انجل من تعاطي أي خدمةٍ أو عملٍ اتفق اذا نفذت درهماي واحتجت الى القوت . وهكذا دخلت المحل المذكور واكتبت مع اصحاب الدرجة الثالثة ودفعت الاجرة المعينة . ولما جاء موعد السفر وركبت الباخرة أقيت على وطني نظراً الوداع الاخير غير عالمة بما خبأهُ لي الغيب

ولما بلغت القاهرة نزلت في فندق يوافق حالتي المالية . وكانت ايامي الاولى في القاهرة غير ممتعة لما رأيته فيها من الحركة الدائمة والمناظر الجميلة والآثار القديمة ولكن لما جاء الصيف اخذت اشعر بضيق المعيشة والافراد . وكانت النقود الموجودة معي قد قاربت النفاد فأعلنت في احدى الجرائد اني اروم الاستخدام بصفة مرية للاولاد فلم احصل ولا على ذلك ايضاً . وساقني يوماً حظي الاسود فخرجت من الفندق وظلت سائرة الى ان بلغت جسر قصر النيل فوقفت عليه اراقب مياهه الجارية بسرعة في معظم فيضانه وجال في خلدي ان ألقي بنفسي الى ذلك التيار علهُ يريحني من عذابي فيكون ارحم من معاملة الدهر لي ولكن بقية من الديانة في صدري كانت تحارب ارادتي هذه وتغلبت عليها فأسرعت الخطى حتى ابتعدت عن الجسر وسرت على غير هدى في الطريق البني المؤدية الى اواسط الجزيرة وادركني الكلال فرأيت شجرة غضة جلست تحتها طلباً للراحة . وبعد هنيهة جاءت عربة يقودها اثنان من جياذ الخليل يسوقهما فتى حاو الشائل ناضر الشيبية تلوح على هيئته ملامح اللطف والانس فاستوقف عربته قرب الشجرة قبل ان يراني ثم حانت منه التفاتة فنظرني فاعتذر عن وقوفه بجاني على غير قصد . ورأيت فيه سمة العظمة والشرف والغنى فقلت له لا بأس يا سيدي ولكن اسمع لي ان اسألك هل عندك عيال . قال نعم عندي عيال هي عيال والدي اما انا فاست بمتزوج . وصبغ

الحياءُ وجهي لاني خشيت ان يكون قد فهم مني غير ما اريد فأدركتهُ للحال قائلة انما سألتك عن العيال اريد هل عندكم اولاد صغار تطلبون لهم معلمة أو مربية فاني قد ارصدت نفسي لهذا العمل . فقال ربما وجدت لك عملاً فأين اراك . فأعطيتهُ عنوان الفندق وبعد ان تحدثنا حصّةً من الزمن عرض عليّ ان يوصلني في عربته فشكرتهُ ورفضت وسار وهو يتلفت الى جهتي . وفي اليوم الثاني زارني الفتى المذكور في الفندق وتكلمنا فوجدت فيه لطفًا عظيمًا ورقةً شرقيةً وسررت بجديته فكان يزورني دائماً ويعبدي انه ساعٍ بايجاد شغلٍ لي . واعلمني انه ابن احد الباشوات واسمهُ عمر بك وانه لم يتزوج حتى ذلك الحين لانه سافر مراراً الى اوربا ولم يعد يرى في بنات جنسه من يود ان يقترن بهاتم ذكر لي انه قد احبني ويروم ان اقبلهُ زوجاً لي . فارتعش جسمي عند سماع هذا الكلام وقلت له كيف تفكر في ذلك وانت غريب الجنس والدين عني . قال لايهمني ذلك البتة وأعدك اني لا اعترضك في مذهبي . وبعد ان الحّ عليّ في هذا الطلب فكرت فيما قاله وأعدت نظري في احوالي الحاضرة فوجدت الامر نعمةً قد ساقها اليّ القدر خلاصي من الشقاء الذي وصلت اليه فأجبتهُ الى ما ارادهُ واقتربت به . وكان الاحتفال بقراننا عظيم الابهة والجمال والزينة مستكمل اسباب الترف والسرور حضرهُ عدد غفير من سرة القاهرة وكبرآئها ووجدت نفسي في قصرٍ عظيمٍ يحتوي على جميع اسباب الفنى والعظمة وفوق كل ذلك محبة عمر الشديدة لي فأيقنت ان مصائبي قد انتهت وابتدأت في حياة السعادة والهناء . وخطر لي اذ ذاك ما كان يقوله لي ابن عمي شارلس وكيف كان يؤمل ان اعيش واياهُ على مثل تلك الحال فلم اتكن من حبس نفسي عن ذرف الدموع . وكان لعمر شقيقةٌ يحبها جداً توفيت وتركت ابنةً صغيرةً في الثالثة من عمرها تدعى عفت فأخذها عمر وجعلها ابنةً لنا وهي هذه التي بجانبي وتظني امها وما كادت تتم السنة الاولى من زواجنا حتى رأيت في عمر تغيراً واقلاباً عظيمين فصار لا يجيء البيت الا نادراً لينام ثم صار يسيء معاملتي فنغني من الذهاب الى الكنيسة تم امرني ان اغيّر لباسي وارتي بهذه الهيئة الشرقية فكنت لا اخالف

له امرًا علمي انه زوجي وعلي طاعته . وسعيت لاعلم ما الذي جعله في هذا التغير  
 فعلمت انه قد سقط في شرك بعض بنات الهوى اللواتي ينصبن حبالهن في حانات  
 هذه الجهات فجعلن عمر عبدًا لمن يدعونه يوميًا الى مسامرتهم وتعاطي كؤوس  
 الشراب الى ان تفقده الحرة عقله فيدود عليهن الاموال الطائلة ويعود الى بيته  
 عند بزوع نور النهار لينام . وتقدمت اليه يوماً لاردعه عن عمله هذا واذكره  
 بواجباته الزوجية فاستشاط غيظًا ونفر مني واعدت عليه الكرة مرة اخرى فلطمني  
 ورفسني وسقطت الى الارض مغمى علي . واحاطت بعمر عصابة من اولاد جنسه  
 وربته فكانوا ينتقلون به من رذيلة الى ارض ومن منكر الى انكر حتى اصبح كفاقد  
 العقل من كثرة تعاطي الحشيش والمسكر وادمات السهر والجولان . هذا وامواله  
 تنفق بدون حساب وتنفق من بين انامله تدفق الماء . وكثيرًا ما كنت انتظر عمر  
 ساهرة الى الصباح فيعود محمولاً على ايدي رفاقه أو خدمه ولا ازال حتى الآن في  
 هذه الحالة الشقية وهو لا يسأل عني الا ليضايقني ولا يواجهني الا ليلطمني ولا يكلمني  
 الا ليشتمني فأخذ هذه البنية واسير بها غائبة عن البيت مدة وجوده فيه وكثيرًا ما  
 اقصد هذه الحديقة لقر بها من بيتنا وجمال منظرها حتى اذا وقفت امام هذه البحيرة  
 يعاودني فكر التخلص من هذه الحياة المرة بالانتحار لولا اشغالي على مولودٍ سيظهر  
 الى عالم الوجود قريبًا

ولما انتهت بلائش قصتها ورأت التأثير الشديد البادي على وجهي قالت لم يخطئ ظني  
 فيك ايها الصديق وغاية ما ارجو منك ان تعدني بمقابلتك حينًا بعد آخر فكفاني ان  
 ارى من يكلمني بلغتي ويلدني حديثه فيسليني بعض التسلية عما انا فيه من المصائب .  
 فاخذت اخفف عنها والاطفها ووعدها بمقابلتها في يومٍ آخر وكنا كثيرًا ما نجتمع  
 وتفاوض فاعلم منها ان عمر لا يزال يزداد في شروره وانغمسه في الرذائل والشهوات

.....  
 وذهبت ذات يوم من شتاء سنة ١٩٠٣ الى محل شغلي وكانت السياح ترد اليه  
 بين مشتري ومفترج ورأيت رجلين بينهما مومياء يتفرسان فيها فقال احدهما

## الضياء

(٥١٥)

للآخر « لو كانت عادة التحنيط باقية الى الآن لما بُعثت من قبرك » فاستغربت هذا الكلام وسألته عما يعنيه فقال لي ان صديقي هذا قد قام من الموت . فسألت الرجل عن الامر فقال لي انه كان ضابطاً في الجندية واصابته رصاصة في رأسه كسرت جمجمته وقلته على الارض قتيلاً وان الجنود جاءت بعد الموقعة ترفع القتلى فرفعوه معهم ونقلوه الى محل الدفن . واستغرقت الاستعدادات المتبعة في مثل تلك الحالة نحو يوم كامل ثم اخذوا في مواراة القتلى في التراب بعد فحص ثيابهم واخذ اوراقهم فلما وصلت النوبة اليه ومد المأمور يده الى جيب صدره شعر بضر بات قلبه فدُعر ونادى الطيب للحال ففحصه فوجد انه لم تزل فيه بقية من الحياة . فنقلوه الى المستشفى ولبث فيه نحو ثلاثة اشهر زال في نهايتها كل خطر على حياته وبعد ستة اشهر اخرى أُذِن له في العودة الى انكاترا فعاد وبقي فيها الى هذه السنة واستحق « اجازة » جاء فيها القطر المصري لتغيير الهواء

وكنت انا اسمع الحديث بقلب خافق وقد ملكني العجب والاستغراب فما صدقت ان فرغ من كلامه حتى صحت به اسمك اسمك ما هو اسمك . فدُهِش الرجل شديداً وقال اسمي الملازم شارلس هيل فاذا يهيك ذلك . فقلت وقد اخذ مني السرور مأخذه يهمني ويهيك كثيراً فانتظرتني قليلاً وكان قد قرب ميعاد انتهاء عمل النهار فخرجت معه وهو متعجب وقد ظنني ولا شك فاقد العقل . فلما بلغنا الفندق الذي يقيم فيه خلوت به وسردت له ما سمعته من بلائش وما علمته منها في اجتماعاتنا التالية فكاد الرجل يحن فعلاً . ثم اخبرني انه سعى جهده بعد عودته الى انكاترا للوقوف على اثرها فلم يمكنه ذلك وظن اخيراً انها ماتت . ثم صاح بي قم بربك وخذني اليها لعود الي حياتي . فاستمهلته الى صباح الغد ووعده ان اجتمع بها وكان اليوم الثاني موعد اجتماعي ببلائش حسب العادة ولما ذهبت الى الفندق في صباح رأيت شارلس ينتظرتني على بابه وقد دلت هيئته على انه لم ينم تلك الليلة فسرت به ودخلنا حديقة الازبكية الى المكان المهود . وكانت بلائش قد سبقتنا فلما رأيتني قامت لاستقبالي كالعادة بدون اقباه الى ان بصحبتني آخر . ولما وقع

نظرها عليه صاحت صياح الخائف اذا رأى شبحاً يقوم من لحدّه ثم اسندت ذراعها الى شجرة بالقرب منها وهوت ساقطة الى الارض . وكنت انتظر مثل ذلك فاسرعت واخذتها بذراعيّ قبل ان تسقط . ولما عادت اليها قوتها فمحت عينيها وقالت بربك ايها الصديق ما الذي دفعك الى احضار ارواح الموتى . فقلت سكّني روعك يا سيدي فان الواقف امامك الآن ليس شبحاً بل هو حقيقة ابن عمك شارلس هيل . فقالت اخبره اذا اخبره بكل شيء وعادت الى غيبوبتها . وكان شارلس قد اخذها بين يديه ودموعه تساقط على وجهها تساقط المطر فكان منظرهما على تلك الحالة مما لم ار ولم اسمع اشد منه تأثيراً . فصرنا ساعة او اكثر وابت بلانش الا ان نراقها الى بيتها ففعلنا وسألنا عن زوجها فقالت انه الى حين خروجي لم يكن قد عاد بعد ولا اظنه يعود اليوم . ولكننا ما بلغنا القصر حتى رأينا الخدم يجرون وعلى وجوههم هيئة الرعب والاضطراب ولدى البحث علمنا ان عمر بك عاد الى بيته في الصباح في حالة سكر عظيم وكان الحشيش قد اضع رشده فدخل الى غرفته في الطبقة العليا وخرج الى شرفة علي غير هدى فزلت قدمه وسقط من ذلك العلو الشاهق فشح رأسه . فاسرعنا اليه وحملناه واستدعينا الطبيب فوجد بعد الفحص انه قد مات . وكانت بلانش واقفة بجانب سريره مستخرطة في البكاء وتعاونت انا وشارلس فاخرجناها الى غرفة اخرى وجعلنا نعزيها فقالت نعم اتعزى ولكن بعد ان افي الزوج حقّه ففما فعل عمر فانه كان زوجي

وفي اوائل الشهر الرابع من هذه السنة ولدت بلانش غلاماً ذكراً ورث ما كان لايه من الاموال الطائلة والمقتنيات واصبحت والدته وصية عليه . اما ابن عمها شارلس فعاد الى انكثرا ليقدم استعفاءه من الخدمة ويعود للاقتران ببلانش . ولا ازال ازورها في بيتها الى الآن فنذكر ما مضى وهي تقول لي في كل مرة ان قلبي اوحى اليّ من اول مرة نظرتك فيها انك ستكون بشير الخير والسلام